هو العليم

استجابة دعاء عامة النّاس بسبب الطلب الحقيقي والاعتماد على الله

مباني الأخلاق – المجلّس التاسع عشر

محاضرات ألقاها

سماحة العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

المشهد الرضويّ المقدس، خطبة عيد الفطر السعيد ١٤٠٩ هجري قمري

@MadrastAlwahy

خطبة عيد الفطر السعيد الأولى

أعوذُ بِاللَهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بسم الله الرَحْمن الرَحيم

الحَمد لِلَّه الواصلِ الحمدَ بالنِّعَم، والنِّعَمَ بالشُّكر. نَحمَدُهُ عَلى آلائِهِ، كما نَحمَدُهُ عَلى بَلائِهِ. ونَستَعينه على هذه النُّفوسِ البطاءِ عمّاأُمِرَت به، السِّراعِ إلى مانُهيَت عنه. ونُؤمنُ به إيمانَ مَن عايَنَ الغيوبَ ووقَف على الموعود؛ إيمانًا نفى إخلاصُه الشِّركَ، ويقينُه الشَّك.

ونَشهَد أن لاإله إلّا اللَه وحدَه لاشريكَ له، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا فردًا حيًّا قيّومًا دائمًا أبدًا، وأنَّ محمّدًا صلّى اللَهُ عليه وآله وسلّم عبدُه ورسولُه، أرسَلَه بالهدى ودينِ الحقِّ

لِيُظهِرَه على الدّينِ كلِّه ولو كَرِهَ المُشرِكون؛ شهادتَين تُصعِدان القولَ وتَرفعانِ العملَ، لايَخِفُّ ميزانٌ تُوضَعانِ فيه ولايَثقُل ميزانٌ تُرفَعانِ عنه.

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذ، زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ! دَعا إليها أسمَعُ داعٍ و وَعاها خَيرُ واعٍ».[1]

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.[2]

خطبة عيد الفطر السعيد الثانية

بسم اللّه الرّحمٰنِ الرّحيمِ

---

[1] نهج البلاغة (صبحي الصالح)، ص ١٦٩، الخطبة ١١٤، مع أدنى تفاوت.

[2] سورة الفاتحة (١)، الآيات ١ الي ٧.

بعض القصص ذات المغزى عن الملّا نصر الدّين

لقد جرى الحديث اليوم عن الملّا نصر الدّين رحمة اللَه عليه: فنحن لم نعلم من هو الملّا نصر الدين، ولكن أيّاً كان فليكن، إلّا أنّ هناك بعض النقاط والدقائق العجيبة في كلماته؛ إمّا كلّها هكذا أو بعضها هكذا. ومن ضمنها أنّه كان في أحد الأيام يتباحث مع شخصٍ ما فقال له:

أنا إنسانٌ كاملٌ، ولا يُمكن القدح في أيّ شيء من علومي! وأنا وزوجتي بمجموعنا نُمثّل منجّمًا كاملًا! لأنّني بواسطة علم الرمل والاسطرلاب وقواعد علم النجوم علمت أنَّ اليوم سيتساقط المطر، وأمّا زوجتي فعلمت أنَّه لن يتساقط المطر، فإذن أنا وزوجتي نُمثّل منجّمًا كاملًا، لأنّه إمّا أن يتساقط المطر وإمّا أن لا يتساقط! فكلامي مع كلام زوجتي سويًا، كلامٌ صحيحٌ مئة بالمئة!

تأمّلوا كم أنَّ هذا الكلام مليءٌ بالمحتوى والمعنى!

يقولون:

اتّخذ لنفسه عروسًا يومًا من الأيّام، وكانت فائقة الجمال، وكان ملّا نصر الدّين جالسًا، فقدم لها الطعام من باب المجاملة وقال: تفضلي وكلي! فأكلت. وفي أحد المرات، قدم لها قطعةً من الشّمام، وقال: «تناولي الشمام!» فقالت الفتاة: «أيّهما أتناول؟ هذه أو تلك؟» ولأنّه لم يكن هناك أكثر من قطعةٍ واحدةٍ، سألها الملّا: «ماذا تعنين؟! ماذا تقولين؟!» ثمَّ وضع البيض أمامها وقال: «إذن تناولي هذا البيض! فقالت أيّهما أتناول؟ فأجاب الملّا: «تناولي هذا البيض!» ثم أدرك أنَّ هذه الفتاة ملكة العالم عينها حولاء أصلًا! فقال الملّا: «مهما كانت عيوبك فلتكن؛ فقط لا تريني اثنين!» لأنَّ الأمور ستسوء؛ فإذا شاهدتني اثنين، فهناك يا غيرة الله! هذا الأمر مهم جدًا؛ وهذا أيضًا من كلمات الملّا.

يقولون:

اتّجه الملّا نصر الدّين إلى المخبز لشراء قرصٍ من الخبز فرأى أنَّ المخبز يغصّ بالناس، ففكّر وقال في نفسه:

«ماذا أفعل؟ إذا كنت أرغب في الحصول على الخبز من هنا، فيجب أن أقف حتّى العصر؛ لكنّني أريد أن أذهب لتناول الغداء، ولا أستطيع الوقوف حتّى يأتي دوري! فقال: يا خلق اللّه! فأجابوا: نعم؟ فقال: لماذا تقفون هنا، وتنتظرون خبزكم؟! فقالوا: ماذا نفعل إذن؟ قال: اذهبوا إلى الخلف، فإنَّهم يوزعون الحساء مجانًا في ذلك المنزل!

حكاية الملّا نصر الدين في استجابة دعاء عامة النّاس

فخرج الجميع من المخبز وخلا المكان تمامًا! فقد ذهب الجميع للحصول على الحساء. لقد خلا المكان بحيث تمكن من الحصول على الخبز ثمّ ذهب! ثمّ فكّر بينه وبين نفسه، وقال: إنَّ جميع النّاس غادروا المكان، ولكن لا بدّ أن يكون لذلك سببٌ! وإلّا فإنَّ النّاس لا تتحرّك بدون غاية، لا بدّ من وجود أمرٍ مهمٍّ، إذن سأذهب أنا أيضًا لأنظر ما الأمر، وكي لا أخسر الحساء أيضًا، فأخذ الخبز وذهب خلف خلق اللّه. وصادف أنّه رآهم يأخذون الحساء، فأخذ هو نفسه وعاءً من الحساء وقفل عائدًا إلى بيته!

ألا ترون كم أنّه عجيبٌ جدًا! عليكم أن تقرؤوا كتابه لتروا ذلك. والآن ما حقيقة المسألة؟

الوجه الأوّل لما حصل: هو أنّ الملّا لديه حقًا علم الغيب بأنّهم كانوا يوزعون الحساء، ولم يكن النّاس يعرفون فأخبرهم كي يذهبوا.

الوجه الثاني: أن يصادف أنّهم كانوا يوزعون الحساء، وهو لم يكن لديه أدنى علم، وقال للنّاس: «اذهبوا إلى هناك فإنّهم يوزعون الحساء مجانًا!» وصادف أنّهم كانوا يوزعون الحساء فعلًا. فأخذ الناس الحساء، وأخذ هو أيضًا.

ولدينا وجه ثالث أيضًا، وهو ما أريد أن أذكره هنا: لم يكن هناك أيُّ حساءٍ، ولم يكن لدى الملّا أدنى خبر وأراد خداع النّاس كي يتركوا المكان ويذهبوا كي يخلو الدكان له فيشتري خبزه الخاصّ، فتحرّك الناس رغبةً بالحساء، وذهبوا إلى هناك وطرقوا الباب، وطلبوا الحساء: «أعطونا الحساء!»، وعندها صُنع الحساء ووُجد، وقد أخذ الملّا نفسه الحساء أيضًا!

وهذا أمرٌ عجيبٌ جدًا، وهو أنّه في الأساس لم يكن للموضوع أثرٌ أصلًا، ولكن بسبب الطلب، وخاصّةً طلب الجماعة وُجِدَ! كعام القحط عندما لا تتساقط الأمطار من السماء، فعلى النّاس أن يتّجهوا إلى الصحراء ويدعوا ويقولوا: «يا ربّ، أرسل علينا المطر!» فيدعو القوم وتهطل الأمطار؛ لا أنَّ اللَه أراد أن تتساقط الأمطار في ذلك الزمان وذهبوا هم فانكشف أمرٌ غيبيٌّ، أو أنَّ المطر تساقط صدفةً؛ كلّا فإنَّ المطر وُجِدَ وانهمر نتيجةً للدعاء. فهذه المسألة تستحقّ البحث، وهذا هو حقّ المطلب، وواقعًا إنَّ المسألة كذلك؛ فإنَّ النّاس طلبوا المطر من اللَه، فصنع اللَه لهم المطر، وأعطاهم إيّاه.

حكاية دعاء المطر وصلاة آية الله خوانساري وأهل قم صلاة الاستسقاء

في نفس الوقت الذي كان فيه الحلفاء، وكان الإنجليز متواجدين في قم، أي: بعد عامٍ واحدٍ من ذهاب العبد الحقير إلى قم، أصاب أهل قم قحطٌ عجيبٌ غريبٌ وجفّ النهر الذي كان زاخرًا بالماء دائمًا، ولم يبقَ به قطرةُ ماءٍ واحدةٍ! وانتهت كافة المياه المخزنة في مخازن «چهل پلّه

[= الأربعون درج]» في قم أيضًا! فكان جميع الرجال والنساء يحملون الجِرار ويقفون في الصفّ، وعليهم الوقوف عند «الأربعين درج» ليصل دور كلّ واحدٍ منهم؛ وفي ذلك الوقت كانوا يضربون على رؤوس بعضهم فكانت تنكسر الجرار حتّى يتمكّن واحدٌ منهم فقط من ملئ جرّته بالماء. جفّت جميع خزّانات الماء وشارفت قم على الهلاك.

فحضر النّاس إلى آية الله السيّد محمّد تقي الخوانساري وكان من مراجع قم، وهو رجل حسن السريرة جدًا، وطاهرٌ وسيّدٌ حرٌّ وذو عزيمةٍ، وكان بسيطًا بلا رياء و...، فقالوا: «سماحة السيّد فلنصل صلاة الاستسقاء؛ فإنَّ النّاس تكاد تموت!» وكان حديثًا طويلًا؛ وباختصار وببيان بسيط للمسألة: قال سماحة السيّد محمّد تقي: «حسنًا جدًا، أعلنوا أنّنا سنذهب بعد الغد وكان يوم الاثنين إلى المصلى!»، فتحرّك الناس ليذهبوا إلى المصلى ويقيموا الصلاة هناك، وهو كذلك مشى بأقدامٍ حافيةٍ وبهذه الخصوصيّات. وكان الواعظ هو آغاي إشراقي ـ ولا بد

أنّكم سمعتم انَّ آغاي إشراقي من الوعّاظ المميّزين وكان بليغًا فصيحًا ـ فمشى هو أيضًا ناحية المصلى، ومشى جميع الطلّاب والنساء والرجال، مشى الجميع ليذهبوا إلى المصلى كي يُصلّوا.

فصلّى السيّد الخوانساري ـ رحمة الله عليه ـ ثمَّ خطب آغاي إشراقي، ثمَّ بدت التغييرات في السماء وأتت سحابةٌ وتساقط مقدارٌ قليلٌ جدًا من المطر، ولم يكن بالقدر المطلوب، وقفل النّاس عائدين إلى بيوتهم.

فعيّن السيّد الخوانساري موعدًا آخر بعد يومين ومشى، وقال: «في تلك المرة لم يكن دعاؤكم سليمًا وعلينا أن نقوم به بالشكل الفلاني...». وعلّم النّاس مقدمات الدعاء وكيفيّته الصحيحة، وفعلوا كما فعل قوم النبيّ يونس حيث انفصل النساء عن الرجال وفصلوا الضأن عن الخراف والأبناء عن الأمهات، بالطبع لم يكن الأمر كذلك هنا، ولكن النّاس دعوا واقعًا ودعا هو أيضًا. ولم يصل الدور هذه المرة لموعظة آغاي إشراقي، فما إن شرع

بالحديث حتّى انهمر المطر وتساقط بحيث لم يتمكنوا من العودة إلى منازلهم!

وعندما أراد النّاس أن يذهبوا للصلاة، أعتقد الإنجليز أنّ هذا الحشد جاء لمهاجمتهم، ولذلك وجهوا بنادقهم وأسلحتهم عليهم؛ ثمَّ لاحظوا أنّهم لا يحملون الأسلحة والسيوف والقنابل والبنادق، بل

كان البعض بأقدام حافية! فسألوا وفهموا أنَّه ليس لهذا الحشد من النّاس شأنٌ بهم؛ ولكنّهم تعجّبوا كيف يمكن أن يدعوا فيتساقط المطر في منتصف الصيف وبهذا الجفاف!

وخلاصة الأمر: لقد تساقط المطر بحيث مشى السيل! إنكم رأيتم مجرى النهر في قم، لقد ارتفع منسوب المياه بحيث كاد يدخل بيوت النّاس، حتّى أنّهم ذهبوا إليه قائلين: «يا سيّد، ادعوا كي ينقص الماء قليلًا!».

صلاة استسقاء رسول الله

وهذه الصلاة مثل صلاة الاستسقاء التي صلاها النبيّ، حيث وقع في المدينة قحطٌ عجيبٌ جدًا، بحيث

مات البقر والخراف والجمال و... من الجوع. فجاؤوا إلى النبيّ، فقال النبيّ: «لنذهب سويًا ونصلي!» فحضر النبيّ وصلوا الصلاة في المسجد الذي يُعرف اليوم باسم مسجد الغمامة. فلم يكن النبيّ قد عاد إلى منزله بعدُ، وإذا بالمطر قد هطل، وكان غزيرًا إلى درجة أنه بحلول الوقت الذي كاد يصل فيه النبيّ إلى منزله، كانت البيوت قد قاربت أن تُدمر! فذهبوا إليه وقالوا: «يا رسول الله، أأمرها أن تتوقف!» فأمر النبيّ السحاب: «حَوالينا، لاعلَينا»، فانتشرت الغيوم حول المدينة.[1]

استجابة دعاء عامّة النّاس بسبب نفس الطلب الحقيقي والاتّكال على الله

إنّ هذا الكلام ليس أسطورة مخترعة، ونحن المسلمون نعتقد به. هذا هو تاريخنا، ولا يقتصر على حادثةٍ أو حادثتين، بل لدينا نظير ذلك إلى ما شاء الله؛ فإذن هي حقيقة واقعيّة. الحقيقة الواقعيّة هي أنّ الدعاء وطلب النّاس، وخصوصًا جماعة الناس هي بحدّ ذاتها مُوجِدةٌ وهي بنفسها توجد الشيء! وسبب ما يقولونه من أنّه:

---

[1] الأمالي، الشيخ المفيد، ص ٣٠٢؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٦٢.

«على الإنسان أن يصلّي جماعةً» أو أنّ «صلاة الجمعة واردةٌ على الجماعة» أو أنّ «الحجّ من الدساتير الاجتماعيّة» أو أنّ «الوارد هو أن يتّجه النّاس إلى الصحاري لأداء صلاة العيد» و... فهذا لأنّهم يدعون اللّه ويطلبون منه، ونفس هذا الدعاء هو الموجد. يقولون: «اللهم أهلك الأعداء!»، فيُهلكهم. «اللهم انصرنا»،

فينصرهم. «اللهم سلّمنا!»، فيُسلّمهم. «اللهم زد في إيماننا!»، فيزيد في إيمانهم.

يجب أن تكون هذه الأدعية مبنيّةً على أساسٍ وواقعٍ، وعن رغبةٍ واعتماد على اللّه؛ لا اعتمادًا على النفس، ولا اعتمادًا على الحشد، ولا اعتمادًا على الأمّة، وليس اعتمادًا على الأفراد، فهي سبلٌ خاطئةٌ بأجمعها.

اشتباه السيّد حمال الدّين أسد آبادي [الأفغاني] في اعتماده على نفسه مقابل الاعتماد على الله

هناك الكثير من الكلام الذي يدور حول السيّد جمال الدّين أسد الآبادي الأفغاني، أي نوع من الرجال كان؟ وهل أنّ هذا الرجل كان مسلمًا ومؤمنًا واقعًا؟ هناك الكثير

من الكلام. ولكنّ الخلاصة والنتيجة هي ما يلي: هذا الرجل مسلمٌ وشيعيٌّ على نحو التحقيق، وكان رجلًا من أهل الحكمة، ومن المُسلّم أنَّه كان من أهل همدان؛ ومن المُسلّم أنَّه كان كذلك وليس هناك أدنى شكٍّ في ذلك، وكان يتردّد على الملّا حسين قلي الهمداني في النجف، وكان من تلامذة الملّا حسين قلي، ولكن لم يكن من تلامذته المبرّزين، بل كان يتردّد على مدرسته. لكنه انتقل لاحقًا من النجف في زمن حياة المرحوم الآخوند [حسين قلي الهمداني] وهاجر منها؛ لأنَّ المرحوم الآخوند ـ رحمة اللَه عليه ـ ارتحل عن الدنيا سنة ١٣١١ هجريّة قمريّة، أمّا السيد جمال فقد بدأ بالترحال في البلاد قبل سنة ١٣٠٠ هـ. وقصّصه طويلة؛ فقد أمضى عدّة سنوات في أفغانستان، ثمَّ ذهب إلى الهند، ثمَّ إلى مصر، ثمَّ إلى باريس، ثمَّ أتى إلى إيران، وفي الختام ارتحل عن الدنيا سنة ١٣١٤ او ١٣١٥ في إسطنبول.

وبالمجموع، أنا أعتقد من خلال الكلام الذي ألقاه ومن المجالس التي عقدها و... أنّه كان رجلًا نابغةً من

الطراز الأوّل في العالم وذلك من ناحية الفكر والذكاء و... وكان بلا نظير؛ ولكنّه كان شخصًا معتمدًا على نفسه، لا على اللَه، وهذه هي المسألة!

وقد ذهب إلى المرحوم الآخوند، إلّا أنَّه لم يتعلّم من الآخوند؛ لذلك قويت نفسه، وكما قال بعض الأعاظم:

إذا لم تضع البيضة تحت الدجاجة فإنَّ الإنسان سيكسر هذه البيضة ويأكلها؛ وإذا وضعتها تحت الدجاجة ستصبح هذه البيضة صوصًا، وسيخرج منها صوصٌ؛ وإلّا إذا وضعوها تحت الدجاجة لمدة عشرة أيّام أو خمسة عشر يومًا ثمَّ أخذوها من تحتها، فإنَّ هذه البيضة ستتعفن وتفسد، فلن تصبح دجاجة ولا بيضة، بل شيءٌ فاسد!

ويتّضح من مجموع كلمات السيّد جمال الدّين الأسد آبادي أنَّه كان معتمدًا على نفسه؛ فمثلًا قال بعض الأعاظم عنه: «كان قويّاً جدًا في الحكمة وفي العلم، ولكنّ دهاءه غلب على علمه»، وهذه نقطةٌ أساسيّةٌ! سأله ناصر الدّين شاه: «ماذا تطلب مني؟» فقال: «أذنان تسمعان!»[1] فهو

[1] مطلع أنوار [= مطلع الأنوار]، ج ٣، ص ٢٦٨.

كان يُريد أن يؤسّس لاتحادٍ بين جميع المسلمين، ولكن على أن يكون هو بنفسه رئيسًا للاتحاد؛ وكلّ الكلام هنا! ولذلك نفاه ناصر الدّين شاه بطريقةٍ عجيبةٍ،[1] ودعاه السلطان عبد الحميد العثماني، وأغضبه. وفي نهاية المطاف أصيب بسرطان الحنجرة، وعاش حياةً بائسةً في إسطنبول وفارق الحياة فيها.[2]

النظريّة السخيفة للمرحوم الأسد آبادي حول مرتبة التعقّل في الإسلام

وخلاصة الأمر: أينما ذهب تمّ تحقيره وهزيمته،[3] وسبب هزيمته هو كلامه العجيب؛ مثل كلامه في قضيّة «رينان» وهي قضيّة مفصّلة جدًا:

كان «رينان» من فلاسفة فرنسا، وقد حضر إلى بيت المقدس وبقي هناك واختار مذهب النصارى، وقال: لقد «كان عيسى رجلًا عاديًا!» وأنكر النبوة و...، ثمّ بدأت

---

[1] المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

[2] نور ملكوت القرآن، ج ٣، ص ١٣٧، نقلًا عن شرح حال وآثار السيّد جمال الدّين أسد آبادي.

[3] راجع: السيّد جمال الدّين الحسيني مؤسس الحركات الإسلاميّة؛ نقش سيّد جمال الدّين در بيدارى مشرق زمين [دور السيّد جمال الدّين في يقظة العالم الشرقي]؛ سواد وبياض (مجموعة مقالات)، ج ٢، ص ٢٢٦ـ٢٣٢.

الثورة الفرنسيّة[1] ونشر «رينان» مقالةً في الصحيفة كانت نتيجة محاضرة ألقاها في جامعة السوربون حول أنّ الإسلام يتعارض في ذاته مع العلم، وقدّم لذلك دليلين:

الأوّل هو: أنّ جنس العرب لا يتحمل العلم، ولذا لم يُرَ بين العرب فيلسوفًا سوى يعقوب بن إسحاق الكِنديّ! وأمّا غير هذا فباقي الفلاسفة إمّا كانوا إيرانيّين أو من مناطق أخرى يتكلّمون اللغة العربية، والتحدّث بلغةٍ عربيةٍ لا تجعل من الإنسان عربيًا؛ كما كان العديد من الفلاسفة في القرون الوسطى يدرّسون الفلسفة باللغة اللاتينية، وهذا لا يجعلهم لاتينيين؛ وهذه المسألة أيضًا كذلك.

الدليل الثاني: أنّ الدين الإسلامي ضدّ العلم من الأساس، ولا يدعو إلّا إلى التعبّد؛ ولذلك يخلو القرآن من الحديث في مجالي العلم والفلسفة!

---

[1] راجع: نور ملكوت القرآن، ج٣، ص ٢٠، نقلًا عن كلّيات تاريخ تمدّن جديد [= تاريخ الحضارة الحديثة].

وقد أجابه المرحوم السيّد جمال وطبع الجواب في الصحف أيضًا، والجواب موجودٌ الآن في متناول اليد أيضًا. وقد أعجب «إرنست رينان»[1] بهذا الجواب جدًا، وقال:

إنَّ هذه الإجابة فلسفية وقد سمعت صوت إخواني من أمثال ابن رشد الأندلسي أو أبو علي سينا من المكان الفلاني، وأنا أغير محاضرتي، وأضعها تحت عنوان علمِ الإسلام و...،[العلاقة بين الروح العلميّة و الإسلام (**نور ملكوت القرآن**، ج٤، ص ١٠٢)].

والجواب الذي قدّمه السيّد جمال الدّين له ـ على ما نُقِل وعلى ما هو بين أيدينا، لكنّنا لا علم لنا بالواقع ـ كان كالتالي:

أصلًا جميع الأديان تخالف العلم، وهذه المسألة لا تختصّ بالإسلام! وكلّ دين أتى فقد دعا إلى التعبّد المحض وسحب البشر من طريق العقل إلى طريق الاتّباع، واستحوذ على حسّ الاكتشاف لدى العقل

---

[1] Ernest Renan.

البشري؛ وهذا الأمر لا يختصّ بالإسلام؛ وعلّة ذلك ما يلي: لقد رأى جميع الأنبياء المرسلين لهداية البشر أنَّ فكر النّاس وعقلهم ليس بنحوٍ يُتيح لهم أن يحرّكوهم ويقودوهم من خلال العقل على الإطلاق، ثمّ يتحرّك النّاس من خلال رأي العقل بعد ذلك!

وما قاله الأنبياء: **«اتبعونا، فربما تعثرون على الطريق!»** لأنّهم لم يتمكّنوا من القول: هذا هو كلامنا ونحن عقلٌ كامل! ولذلك، ذكروا أن كلامهم من عند اللَه ونسبوه إليه؛ إلّا أنَّ هذه الأفكار هي من عند أنفسهم، ورغم أنَّ هذه الأفكار كانت من عنده أنفسهم إلّا أنّهم نسبوها إلى اللَه ليتقبلها النّاس! ومع ذلك فإنَّ التطور العظيم الذي فعلوه هو أنّهم صدّوا البشر عن الهمجيّة سواء كانوا مسلمين أو مسيحين وبالختام قيّدوا البشر، وهذه الخدمة هي خدمةٌ عظيمةٌ.

وأنا لا أستطيع أن أنكر أنَّ دعوة الانبياء إلى التعبّد هو أكبر إهانة للبشريّة، وأشدّ احتقارٍ صدر بحق البشريّة؛

ولكن لا مناص منها وعلى النّاس أن يصلوا إلى العقل، وهذا هو لبّ المسألة![1]

وعندما ظهر أحمد القادياني في المغرب على أنَّه إمام الزمان، ووصل الخبر للسيّد جمال بأنّه أعلن أنَّه إمام الزمان، سأل: «ما قصّته؟»، قالوا: «إنّه يدعي أنَّه إمام الزمان!»، فقال:

إنَّه سيبقى مثل البهائيين! إذا استبدل الإنسان «الكعبة» وجعل قبلته «عكّا»[2] أو رفع القرآن ووضع «البيان» محلّه، فكأنه لم يصنع شيئًا؛ يجب القيام بإصلاحٍ جذريٍّ!

نقد الأفكار المبنيّة على التجديد الديني

إنَّ أغلب ما طرحه السيّد جمال الأفغاني حول وضع المسلمين و... كان صحيحًا، ولكن ما ورد في عباراته أنَّه

---

[1] راجع نور ملكوت قرآن، ج ٤، ص٩٩ ـ ١٠١، نقلًا عنسيرى در انديشۀ سياسى عرب [= جولة في الفكر السياسي العربي]؛ مطلع انوار؛ [= مطلع الأنوار]، ج ٣، ص ٢٦٠ و ٢٧٠ ـ ٢٧٣.

[2] إنَّ أقدس مدينة للمذهب البهائي [هي عكّا] وتقع في فلسطين المحتلة. (المحقّق)

يجب التصرّف والتغيير في أحكام الإسلام![1] وهذا الكلام هو نفس فكرة التجديد الدينيّ التي انتشرت اليوم بين الأفكار. ومثلما قام البروتستان ضدّ الكنيسة وثاروا عليها وشكلّوا دينًا جديدًا في قبالها، فأصبحوا فرقتين، هؤلاء يقولون أيضًا: بشكلٍ عامٍّ هذا الدين الذي لدينا الآن، على سبيل المثال: هذه المرأة تضع الحجاب على رأسها، أو تلك المرأة التي تجلس [في منزلها]، وجميع النساء يجلسن في الخلف [في المسجد] ويلبسن الحجاب على رأسهنَّ، فما هذا الكلام؟! ولم يكتفوا بالقول فيما يتعلّق بالمرأة والرجل: «يجب إزالة الرجولة والأنوثة!» بل يقولون: «إنَّ هذا الكلام ليس صحيحًا أصلًا!».

هذا الكلام وهذا الفكر المتعلّق بالتجديد الديني هو نفس ما طرحه الدكتور عبد الكريم سروش ـ عليه ما عليه ـ في مقالاته المنشورة في الصحف، ونحن بدورنا

---

[1] لمزيد من الاطلاع حول أحوال السيّد جمال الدّين الأسد آبادي الأفغاني وأفكاره، راجع: مطلع انوار [= مطلع الأنوار]، ج٣، ص ٢٤٩ـ٢٨٠؛ نور ملكوت القرآن، ج ٣، ص ١٢٣-١٤٣.

خصصّنا أحد مجلّدات نور ملكوت القرآن فقط من أجل الردّ عليه. ولُبّ كلامه هو أنَّ القرآن غير كافٍ، ورسول اللَه غير كافٍ، وجميع كلامه هو إنشاءٌ من عنده، والقرآن ليس من عند اللَه! وأنّ رسول اللَه كان رجلًا عجيبًا، وقد أحضر نصًا، وهذا يتوافق مع زمان نفس النبيّ! ولكن نحن علينا أن نتّبع عقولنا لنصل إلى حقيقة المسألة وسنصل، وهذا الدين يقيّد أرجلنا! بالطبع، هم لا يقولون ذلك صراحةً، ولكن هذه هي حقيقة كلامهم؛ ويُعبّر عبد الكريم سروش عن ذلك بالطفرة، ولكن لا يكتفي بذكره مرّةً واحدةً أو مرّتين بل يذكره أكثر من خمسين مرّة في هاتين المقالتين، ويُبين هذا المضمون وهذا الفكر تحت عناوين متنوعة وبعباراتٍ مختلفةٍ.[1]

اللَهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد

[1] راجع: نور ملكوت القرآن، ج٢، ص ١٩٣- ٥٠١؛ نظرة على مقالة بسط وقبض نظرية الشريعة ، الدكتور عبد الكريم سروش؛ لمزيد من الاطلاع كذلك، راجع: افق وحي [= أفق الوحي]، في الردّ على نظريّة الدكتور عبد الكريم سروش حول الوحي.